

الاغتراب اللغوي والهوياتي في روايتي "الحب والفانتازيا" و"بعيدا عن منزل والدي" لآسيا جبار
Linguistic and identity alienation, in two novels "Love and Fantasia", and "Far from my father's house", to Assia Debar

* بدرية شامي¹، حسان راشدي²

Badria chami¹, Badria chami²

مخبر الأنساق والسرديات الثقافية جامعة سطيف 2 (الجزائر)

Université Sétif 02 (Alger)

b.chami@univ-setif2.dz¹ Hassane.rachedi@ymail.com²

تاريخ النشر: 2021/12/25	تاريخ القبول: 2021/05/03	تاريخ الإرسال: 2020/11/09
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تناقش هذه الورقة البحثية أحد أهم أبرز المواضيع، والتي لا تزال تطرح بحدة في الأوساط الأكاديمية، سواء على المستوى الفكري أو النقدي والأدبي، والمتتمثلة في الإشكالية اللغوية في الأدب الفرنكفوني عامة والرواية خاصة، والتي ولدت عقدة انتماء حادة لدى كتاب هذه الأخيرة، نتيجة الإرث الكولونيالي الثقيل، فمعلوم أنّ أول مشروع قام به الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو وأد اللغة العربية، مستهدفا مجالا استراتيجيا وهو المنظومة التعليمية لتجد الذات الجزائرية نفسها في حالة تيهان لغوي، وهذا ما تجسد لدى في أعمال الروائية الفرونكفونية آسيا جبار متقصين ذلك من خلال نموذجين مثلا هذه القضية بامتياز.

الكلمات المفتاح: الاغتراب، اللغة، الهوية، الرواية، الفرونكفونية.

Abstract :

This research paper discusses one of the Most important topics That are still sharply discussed in academics, critical, whether, on the intellectual, critical and literary level.

The linguistic problem in francophone literature in général and the novel in particular, which gave Rise to an acute affiliation complex with the writerrrs of the latter, as a result of the heeavy colonial legacy. It Is know That the first Project carried out by French colonialisme in Alegria Is to bury alive the Arabic langage targeting a strategic Field, which Is the éducationnel system, where the Algerian ego were in a linguistic perplex. This Is what was embodied in the work of the

* بدرية شامي: b.chami@univ-setif2.dz

Francophone novelist , Assia Debar , exploring This throught two models That well represented This issue..

Keywords: aliénation, langage, identité, novel, Francophonie



توطئة:

ولدت الحرب العالمية في الجزائر حياة أدبية أكثر ثراء وأكثر انفتاحا وتنوعا، وقد جاء ذلك من صدمة الحرب، وبداية الاتصال بثقافات أخرى، ففي البداية كان الفرنسيون يعملون على أن تنطق شمال إفريقيا باللاتينية، ثم مع بداية الثلاثينات كانت الفكرة هي صناعة إفريقيا على المنوال المتوسطي، وقبل أن تنتهي سنوات الأربعينات يظهر ولأول مرة تعبير الأدب العربي المكتوب بالفرنسية في الجزائر، إذ كان الاستعمار الفرنسي في تلك الفترة يتعامل مع اللغة العربية الفصحى باعتبارها من التراث، حيث كان يتم تعليمها في نطاق ضيق ومحدود¹.

وقد بدأت فرنسا في فرض اللغة الفرنسية على الجزائريين بالحديد والنار، لم نجد له مثيلا في تاريخ المستعمرات، حيث كانت تصدر القوانين والمراسيم التي تدعم استعمال اللغة الفرنسية وذلك بتحريم الجزائريين أن يفتحوا مدارس عربية أو كتابا لتعليم القرآن، من دون الحصول على ترخيص من السلطات الفرنسية²، ولتمير هذا المشروع استعملت طرق ووسائل مختلفة كما يذهب إلى ذلك إسماعيل حاجم في مؤلفه "الصراع الحضاري في الرواية الفرنكفونية المغاربية" ومن ذلك الرسائل التحضيرية يقول منذ أن بدأ الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر، كان تأثيره الثقافي مواكبا لكل خطواته بل سابقا عليها وباقيا بعدها، ذلك أنّ المستعمر أدرك أنّ بقاءه مرهون بنشر الأفكار وإدخال الحضارة، (فإذا أردنا أن نحضر فما علينا إلا أن ننشر أفكار الإنجيل، الأفكار التي تضمن لنا السيطرة، لأنّ سلاحنا في هذه الحرب هو سلاح الأفكار)³

أمّا القناة الأخرى التي ركز عليها الاستعمار الفرنسي لتمير مشروعه لبسط اللغة الفرنسية، والذي كان عبر أهم مجال حيوي واستراتيجي والمتمثل في المدرسة، إذ تعدّ إحدى القنوات الجوهرية لتحقيق مشروعاتها في القضاء على الهوية الجزائرية يقول إسماعيل حاجم في هذا الصدد " كانت المدرسة المحور الأساس الذي ركّز عليه المبشرون لاستمالة قلوب الأطفال لاعتناق المسيحية وإبعادهم عن اللغة العربية والدين الإسلامي. فلم يكن الهدف من

برامج التعليم المخصصة للأهالي تعليمهم الحضارة والعلم، إنَّ التعليم المخصص للأهالي أقرب إلى برامج محو الأمية بالمفهوم الحالي منه إلى برامج ذات مستوى عالٍ تقود التلاميذ إلى تحضير الشهادات⁴، ومن أجل تثبيت هذا المشروع عملت على فرنسة المظاهر الاجتماعية وذلك بدم النسيج الاجتماعي واللغوي، وبناء محيط اجتماعي ولغوي فرنسي يتلع كل آثار اللغة العربية⁵ فالفرنكفوني كما يقول يوسف بكار من خلال كتابه "الأدب المقارن مفاهيم وعلاقات وتطبيقات" هي بديل الفرنسية، مشروع الاستعمار الفرنسي العلي لفرض اللغة الفرنسية على الشعوب التي كانت تستعمرها فرنسا ولاسيما الجزائر، لأنَّ استعمارها لها امتد إلى مئة وثلاثين (130)، لتقويض لغتهم الأصلية باسم التحديث والتحضّر والرقى في المجتمع الفرنسي⁶.

– تجليات الاغتراب اللغوي والهوياتي من خلال المدونتين:

قبل التعرض لهذا الموضوع المحوري في هاتين المدونتين والذي يبرز جليا هذا التيهان اللغوي والشتات الهوياتي حري بنا أن نتناول بعض المفاهيم التي تقتن بهذا الموضوع، مثل الاغتراب، الهوية، فمن المعلوم أنَّ أي اشتغال نقدي يستدعي التوقف عند المجال المفاهيمي والمنهجي والتي في ضوئها يمكننا من خلالها مقارنة الموضوع، وذلك من أجل البحث عن مختلف التصورات المختلفة لرصد أغواره والكشف عن مكوناته.

1- في مفهوم الاغتراب:

يعدّ الاغتراب من المفاهيم التي لاقت صعوبة في إعطاء مفهوم دقيق ومحدد له، وذلك بسبب تداخله مع حقول معرفية مختلفة مما صعب من ضبط ماهيته، ما أدى إلى تعدد التعريفات وقماهيه مع مصطلحات أخرى كالغربة مثلا.

ففي المنظور الغربي كان لمصطلح الاغتراب في اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية عدد من الاستخدامات والتي استقرت قبل ماركس وهيكل بوقت طويل. فالمقابل للفظ "اغتراب" في اللغة العربية هو اللفظ "Aliénation"، في اللغة الانجليزية واللفظ "Aliénation"، وقد اشتق كل من اللفظين الفرنسي والانجليزي من الأصل اللاتيني "Alinéaire"، والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر، أو الانتزاع أو الازالة.⁷

وهذا اللفظ مستمد من لفظ آخر وهو "Alienus" ويعني الانتماء إلى شخص آخر، أو التعلق به، وفي المعنى الديني قد يأخذ هذا المعنى انفصال الإنسان على الله فيما يتعلق بارتكاب الخطيئة والمعاصي، وهو ما ورد في الترجمات والشروح اللاتينية للكتاب المقدس كما نجد أنّ "البير كامو" قد تعرّض لظاهرة الاغتراب، حيث كتب تحت عنوان "رؤية غربة العالم" معرّفا هذا الالامعنى للحياة، فكلّ شيء غريب وغير حقيقي، تافه ومقنّع ونظرتة هذه توحى إلى مدى اغتراب الإنسان في عصره بكلّ مظاهره الزائفة، أما "سارتر" فقد خصص جزء من كتابه "الوجود والعدم" لمفهوم الاغتراب حيث يقول "إنّ الوحدة مع الغير غير قابلة للتحقيق، وبالتالي يبقى الإنسان دوما غريبا عن الآخرين"⁸ ويحدد "ميلفن سيمان" في مقال له تحت عنوان "مفهوم الاغتراب خمس سمات له والمتمثلة في: انعدام القوة، فقدان المعنى، العزلة، وفقدان المعايير وغربة الذات."⁹

أما مفهوم الاغتراب في الادبيات العربية فقد جاءت لفظة الاغتراب في معجم تاج العروس الغرب بمعنى النزوح عن الوطن والاغراب والتغرب أيضا بمعنى البعد، أما في القاموس المحيط تغرب الرجل واتى الغربة بمعنى نزع عن الوطن¹⁰ أمّا من الناحية الاصطلاحية فقد لقي اهتماما سواء عند القدماء أو المحدثين، فتجدده عند القدماء ممثلا خاصة عند أبو حيان التوحيدي في روايته التي تركها لقومه عن الغريب والغربة، وهي عبارة عن تجربة حياتية تجسد اغترابه الشخصي، وعند فقهاء الإسلام فقد قسموا الاغتراب إلى درجات: اغتراب الأوطان، اغتراب الحال واغتراب الهمّة¹¹ أمّا الاغتراب عند المحدثين فنجد عمر بمقرورة يستعمل مصطلح "الغربة" والتي يرى بأنّها ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدأ الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المفهوم والمصطلح، بينما اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث، بسبب التعاريف الكثيرة التي وضعت لها

كما نجد يوسف عز الدين يستخدم هو الآخر كلمة الغربة فيعرفها بقوله "هي الاحساس الداخلي بأنّ الفرد معزول عن المجتمع الذي يعيش فيه، بما يراه بعيدا عن عاداته وتقاليده، وطراز حياته، الذي ألفه في وطنه، وأحيانا أشكال الناس ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية" فالمقصود من تعريف عز الدين إسماعيل هو الغربة عن الوطن¹² وتعرّف احلام الزعيم الاغتراب بأنّه "هو تصدّع الذات، ذات الفرد وانشقاقها نتيجة عدم توافرها مع المجتمع والعالم المحيط"¹³

2-حول الهوية

يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم الشائكة والصعبة على التعريف نظرا لما تتمتع به من مرونة والخاصية الزئبقية التي تحدّ من إعطاء تعريف محدد لها وذلك بإجماع معظم المنظرين لها.

يحدد قاموس أكسفورد "الهوية" بوصفها "حالة الكينونة المتطابقة بإحكام، أو التماثلة إلى حدّ التطابق التام أو التشابه المطلق. كما يعرف معجم "روبير" الهوية "باعتبارها الميزة الثابتة في الذات"¹⁴، ويرى "طوني بنيت" في معجمه "مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم المصطلحات الثقافية والمجتمع" "أنّ للهوية علاقة بالتطابق مع الذات أو جماعة اجتماعية في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وقد يمكن اعتبار الهوية خيالا يراد منه أن يضفي نموذجاً أو سرداً منتظماً، ويتركز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة في مقابل التعدد والكثرة، والاستمرار في مقابل التغيّر والتحوّل"¹⁵، وهو نفس الطرح الذي نجده عند سمير الخليل من خلال مؤلفه "مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي" بأنّ الهوية تطرح نفسها بحكم التغيّر والتحوّل، وهذا يعني أنّ إشكالية البحث عن الهوية ليست إلّا أطروحة من أجل تأكيد الذات "¹⁶

يعترف "فغوت لوب فريجه Gottlob Freg" بصعوبة إعطاء تعريف جامع للهوية بقوله "أعلن أنّ الهوية باعتبارها مفهوما لا تقبل التعريف، ذلك أنّ كلّ تعريف هو هوية بحد ذاته" كما نجد "اندرسون" يؤيد هذا الرأي بقوله "فكرة خيالية لا تقبل التجسيد أو التعريف، فالهوية مفهوم انطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية"، وأما الهوية باعتبارها مفهوما فذات دلالة لغوية ونفسية واجتماعية وثقافية، وهي تستخدم في الأدبيات المعاصرة لآدا معنى "Identity" والتي تعبر عن سمة مطابقة الشيء لنفسه ن، أو الاشتراك مع شيء آخر يشابهه في الصفات والخصائص¹⁷

يتطرق الدكتور "أحمد منور" في مؤلفه "أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دراسة أدبية" وذلك من خلال قاموس المنجد باللغة العربية والذي يعرفها "حقيقة الشيء أو الشخص، المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية"، وهي في اللغة العربية مشتقة كما هو واضح في مبنائها من الضمير المنفصل "هو" الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص المستقلة عن ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين¹⁸ وقد ارتبط مفهوم الهوية في

نشأته بالفردية، فهو يعني في أصله " إدراك الفرد نفسيا لذاته"، ليتسع المفهوم ليشمل الجانب الجماعي أو ما يطلق عليه بالهوية الاجتماعية فالهوية الفردية كما يعرفها العربي ولد خليفة من خلال كتابه " المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية" بأنها " تعني في واقع الامر إحساس الشخص بفردانيته، أي إحساسه بأنه هو نفسه وليس غيره"¹⁹، فأما الهوية الاجتماعية فهي تطرح تميزها عن جماعات أخرى مما يمنح الجماعة شعور " نحن كأفراد"، أي كجماعة ذات ماهية ذاتية تعرفها وتحدد علاقات التكتل بين أعضائها، ومن ناحية أخرى شعور "نحن كموضوعات"، أي كجماعة تعمل إزاء جماعات أخرى تختلف عنها، وهذا ما يحيل إلى م يسمى بالهوية الثقافية والتي يعرفها عبد الرحمن بسيسو " هي جماع الأنظمة المادية والروحية التي ابتكرها الإنسان لتحكم سلوكه فيما هو ذاهب إلى الارتقاء بهويته وذاته ونمط حياته، والإعلاء من شأن وجوده عبر الانخراط في صيرورة هي الثابت الوحيد وعبر الاحتفاظ بأبنية ثقافية تحملها اللغة إلى الأجيال اللاحقة"²⁰، كما تعرف حسب كتاب "Les littératures Francophones" مجموع مميزات ثقافية خاصة بمجموعة عرقية التي تمنحه الفردية ولكن أيضا الشعور بانتماء الفرد لهذه المجموعة، والتي هي مركز محور العلوم الاجتماعية وخصوصا الأناسية"²¹

3- في علاقة اللغة بالهوية:

يرى "محمد نور الدين أفاية" في مؤلفه " الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش" أن " اللغة هي حاملة للهوية، حيث تقوم بوظيفة أساسية في تكوين النظام الاجتماعي على اعتبار أن كل نظام اجتماعي ينتج أشكالاً ثقافية تتجلى في التمثيلات والعادات وفي طبيعة العلاقات الاجتماعية"²²، في حين يرى أحمد حسين حسنين في مقال له تحت عنوان " لغة التعليم وتأثيرها في الهوية العربية" والصادر بكتاب اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة " ثمة علاقة جدلية شديدة التعقيد بين اللغة والهوية، فإذا كانت اللغة تشكل الملمح الثقافي الأهم في هوية أي أمة، إذ تدخل الهوية على الجانب الآخر، في جوهر منظومة اللغة، وفي صميم بنيتها وتركيبها، وآلية عملها ويمنح رسوخ الهوية وقوتها وصمودها أمام التحديات مكانتها وسيادتها على ألسنة أبنائها، إذا ما واجهوا صراعا لغويا وحضاريا. ومثلما تعدّ الهوية عنوان المجتمع ودليل شخصيته القومية

تعدّ اللغة خصوصية الهوية " فهوية اللغة هي قوة للثقافة وقوة للهوية فنظرا للأهمية البالغة للعلاقة بين اللغة والهوية ينبه "إدوارد سعيد" إلى أهمية المحتوى الثقافي المنقول بواسطة اللغة في صياغة الحياة اليومية²³، أمّا الربيعي بن سلامة في مقاله المنشور له بنفس الكتاب فيرى " أنّ اللغة جزء من التراث، وعنصر من عناصر هوية الأمة، فإنّها تبقى أهمّ جزء في الهوية، لأنها هي الوعاء الذي يحفظ التراث، والترجمان الذي يعبر عن بقية عناصر هوية الأمة، ويبرز حقيقة كلّ منهما بشكل متكامل يجسد روح الأمة الذي يسري في منجزاتها، ويغير عن الوجدان المشترك بين أفرادها، فمن دون اللغة يصعب حفظ تراث الأمة ويصعب التعبير عن هويتها فإنها كما يقول رولان بارت "لا تستطيع أن تستغني عن اللغة، لأنّ اللغة هي البديل الحتمي لكل الأنظمة الدالة"²⁴، فحسب هذه العلاقة المفصلية بين الهوية واللغة العربية دأبت القوى الاستعمارية على اضعاف وتقويض اللسان العربي في عقر داره، أي في المجتمعات العربية التي احتلتها مما عرض هذه الأخيرة إلى الانسلاخ وتجميع هويته، وهو ما حاولته بريطانيا في مصر وما فعلته فرنسا في المغرب العربي على حدّ تعبير أحمد حسين حسنين²⁵، وهذا ما ستجيب عليه المدونتين محل الدراسة من خلال تقصي أهمّ الجوانب التي عاجلت هذا الشتات اللغوي.

تعالج رواية " الحب والفتازيا" بالتقارب ثلاث تجارب مختلفة للخطاب التاريخي، خطاب شهادات والذي يعتبر وثائق تاريخية للعصر وخطاب شهادات نساء وخطاب السيرة الذاتية للروائية²⁶، فمن خلال استقراءنا لهذه الرواية يستوقفنا هذا العنوان " L'APHASE AMOUREUSE، يتجلى واضحا هذا الاغتراب الهوياتي واللغوي من خلال المقاطع التالية:

« Dans les cérémonies familiales les plus ordinaire, j'éprouvais du mal à m'asseoir en tailleur: la posture ne signifiait plus se mêler à l'autre femme pour partager leur chaleur, tout au plus s'accroupir, d'ailleurs malcommodément²⁷ ».

كما نجد في هذا النموذج الذي تعبر من خلاله الكاتبة عن هذا التيهان اللغوي تقول:

« Cette impossibilité en amour, la mémoire de la conquête la renforça. Lorsque, enfant, je fréquentai l'école, les mots français commençaient à peine à attaquer ce rempart. J'héritai de cette

étanchéité ; dès mon adolescence, j'expérimentai une sorte d'aphasie amoureuse : les mots écrits, les mots appris, faisaient retrait devant moi, dès que tentait de s'exprimer le moindre élan de mon cœur.²⁸ »

تعيش الكاتبة هذا الاغتراب والضيق اللغوي ويبدو ذلك واضحا من خلال المقطع التالي، حيث تقول بأنها منذ دخلت المدرسة وبدأت بتعلم أولى الكلمات الفرنسية خلق في نفسها نوع من الحاجز تجاه الطرف الآخر، حيث كلما حدثها ذكر بلغتها الأم وجدت في نفسها انسدادا عن مجاراته، أو أنها باتت مفرنسة أكثر من اللازم إلى حد يجعلها تعجز عن فهم ما يقال لها بلغتها الأم:

«Lorsqu'un homme de ma langue d'origine pouvait, me parlant en français, se permettre une approche, les mots se transformations en un masque que, dans les préliminaires du jeu esquissé, l'interlocuteur se résignait à prendre, C'était lui, en somme, qui se voilait, pour oser avancer vers ma personne²⁹ »

فبالعودة إلى رواية بعيدا عن منزل والدي، نلاحظ على طول صفحات الرواية هذا الاغتراب اللغوي الذي تعانيه الكاتبة، فتعلقها بالشباب طارق ما هو إلا معادلا موضوعيا للغة العربية يظهر جليا هذا الاغتراب خاصة في الرسائل التي كان يرسلها لها طارق حول شعر المعلقات حيث تلح الكاتبة "Premier rendez - vous" وهذا ما نلاحظه في هذا العنوان «Je vous en prie, récitez-moi , en arabe , un ou deux vers d'un de ces poètes-brigands , d'avant l'islam ... Par exemple du plus grand peut-être d'entre eux : Imru al - Qays ! Je vous écouterai, ensuite vous m'en donnerez le sens ...pas forcément mot pour mot !...³⁰ »

تطرح الكاتبة على نفسها بعض الأسئلة المتعلقة بكيفية انتقال هذه المعلقات عبر خمسة عشر قرنا، وهذا ما هو إلا تلميح عن صمود اللغة العربية عبر التاريخ تقول الكاتبة:

«Je mesurai alors come la transmission de ces grandes odes arabes avait traversé quinze siècles-Sculpture sonores, pyramides de musique, improvisations de Qays et de quatre autres de ses pairs, tous nomades inspirés dans un désert riche seulement de cette langue que je convoitais ...³¹ »

تصرّ الكاتبة على طارق أن يرسل لها المعلقات باللّص العربي متبوعا بالترجمة، وهذا ما يفسر حالة الاغتراب والتهان الذي تعيشه الكاتبة بين لغتين وهويتين وهذا ما نلاحظه في المقطع التالي:

« Je vous en prie , dis- je , envoyez – moi dans votre prochaine lettre le texte arabe , mais aussi la traduction de ces vers !³² »

تعترف الكاتبة بضعفها في اللّغة العربية، أو كما تطلق عليها اللّغة الأم تقول الكاتبة:

« Je suis hélas médiocre en arabe classique ! Je n'ai jamais pu apprendre ma langue maternelle comme je l'aurais désiré ! »³³

تظهر الكاتبة شغفها بالمعلقات وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على تعلّقها باللّغة الأم تقول الكاتبة:

« Les Mo'allaquate, ces odes célèbres, se déployaient, elles, avec un lyrisme que j'imaginai pour ou sensuel et, me disais – je, avec un romantisme qui jaillissait en moi, presque malgré moi, qui parlait d'amour absolu: Cette inspiration qui avait fleuri ensuite en Andalousie avait influencé la poésie des troubadours et l'« amour courtois » du Moyen Age occidental. »³⁴

يبدو جليا أنّ الكاتبة تعيش تمزقا لغويا، ويظهر ذلك من خلال تكرارها لهذا الهيام بالمعلقات، ورغبتها الملحة بحفظها في شكلها الأصلي، وهذا ما يفصح عنه المقطع التالي:

« Je dus lui avancer dans ma lettre ces argument d'une façon rigide, qu'il dut trouver sans doute pédante. Mais quoi, j'aspirais à connaître ce corpus poétique en arabe ; je désirais l'apprendre dans sa forme originale avec la version française en vis – à- vis !. »³⁵

تستحضر الكاتبة جولاتها في العاصمة وكيف كانت تحجل من مظهرها الأوربي، وهي ترتدي قناع الآخر مما ولّد لديها عقدة انتماء حادة تقول:

« Avancer les yeux baissés, rougir d'être prise pour une Européenne »³⁶

تقول بأنّها مقنعة بلغة الآخر وهي تكرر هذه العبارة دلالة واضحة على هذا الضياع اللّغوي وهذا ما يدل على النموذج التالي:

« Mais aussi « masquée », oui, masquée par la langue étrangère ! Tandis que, au, de – hors, votre langue maternelle vous aurait trahie,

elle vous aurait dénoncée ; on vous aurait presque montée du doigt ! »³⁷

تعيش الكاتبة حالة من الاستياء، وهذا بسبب عدم استعمالها للغة الأم، ولم لا تكون هذه اللغة هي لغتها الدائمة معبرة عن ذلك تقول:

« Dehors, me voici à marmonner dans ma langue, la vraiment « mienne »: sur le mode du malaise ou du mécontentement puisque je ne peux l'exposer au soleil. Elle, cette langue maternelle, pourquoi ne serait – elle pas à jamais ma langue – peau ? »³⁸

يظهر تعلّق الكاتبة بأمها هذه الأخيرة التي تمثل معادلا موضوعيا للغة العربية، فعليها أن تحتفظ بهذه اللغة وأن تتكلّم بها في كلّ مكان تتجول فيه وهذا ما نلاحظه في المقطع التالي:

« Garder pour moi ce parler si doux de ma mère, quel que soit l'endroit où je déambulerai. »³⁹

تتوق الكاتبة بأن تشهر هذه اللغة علنا دون أن تبقى سجيناً لهذه الفضاءات العائلية، ولكن لا يمكنها ذلك ممّا يدل على أنّها تعاني أزمة لغوية هويّاتية حادة، تفصح عنها في المقطع التالي:

« cette langue dite maternelle, j'aimerais pourtant tellement la brandie au dehors, comme une lampe, Alor qu'il me faut la serrer contre moi, tel un chant interdis ...je ne peux que la chuchoter, la psalmodier avec ou sans prosternation, la réserver, à d'étroits espaces familiaux. »⁴⁰

تعيش الكاتبة حالة من الحصار اللغوي فعليها أن تلتزم الصمت أو تتحدث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو حتى الصينية، ولا مجال هنا لاستعمال اللغة الأم وهي تمشي في الشارع تقول:

« Dans la rue, Alor que je peux laisser corps vagabonder, libre, il me faut me taire ou bien parler français, anglais, et même chinois si je pouvais, mais surtout ne pas exposer cette langue première en public, celle de tan de femme qui demeurent incarcérées »⁴¹

تشتكي الكاتبة حال لسانها إذ تصفه بالمتقوب وهل يمكنها ان تغني هذه المعلقات التي احبتها لأنّها تمثل لها لغتها:

« Langue trouée, hélas oui, mais pourrai- je en- coré au moins chanter, par bribe, ces grandes odes d'autrefois que j'avais apprises par amour, que je ne renie ni par regret »⁴²

يبدو جلياً حضور القرآن الكريم في هذه المدونة فمنطقي هذا الحضور والتجلي لسورة من سور القرآن الكريم فلغة القرآن هي اللغة العربية، حيث تقول كانت تبحث عن قرآن باللغة العربية لتستقر على سورة " النجم " والتي تصفها بالسورة الجميلة والكثيفة والشاعرية، فراحت تقرأ السورة بلغتها الأصلية وبصوت مرتفع تقول الكاتبة:

«disait le verset dans la sourate de l'étoile au moment où je mendiais , en silence , de l'aide .C'est Gabriel qui dicte cette sentence au Prophète. Le verset était beau, le verset était lourd...relire le verset à haute voix dans sa première langue, le soupeser dans toute sa beauté sa sonorité»⁴³

خاتمة:

خلاصة لهذه الورقة البحثية والتي أردنا من خلالها مناقشة أهم قضية في الرواية الفرنكوفونية، والمتمثلة في مسألة الكتابة بلغة الآخر، إذ شكلت هذه الأخيرة تيمة بارزة لدى معظم كتاب هذا النموذج مما خلف صراعاً حضارياً ساق هو الآخر معادلة أخرى معقدة وشائكة متمثلة في المسألة اللغوية، مما أفرز ازدواجية لغوية أدت بدورها إلى حدوث اغتراب لغوي هوياتي عن اللغة الأم، محدثاً بذلك أزمة لغوية حادة، وهذا ما عبرت عنه هاتين المدونتين للكاتبة آسيا جبار والتي من خلالهما رصدنا الأبعاد المختلفة لهذا الاغتراب اللغوي والهوياتي الذي عاشته الكاتبة.

هوامش:

- ¹ - محمود قاسم: الادب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 104.
- ² - دربال بلال: السياسات اللغوية في البلاد المستعمرة، الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجاً، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول 42
- ³ - إسماعيل حاجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرنكوفونية المغاربية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص 11.
- ⁴ - المرجع نفسه، ص 22.
- ⁵ - دربال بلال، المرجع السابق ص 43
- ⁶ - يوسف بكار: الأدب المقارن مفاهيم، علاقات، تطبيقات، آلان ناشرون وموزعون، 2018، ص 36

- ⁷ - لزهر مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين الغربي والعربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2013، ص11
- ⁸ - نفسه 14
- ⁹ - نفسه، ص 47
- ¹⁰ - نفسه، ص 52.
- ¹¹ - نفسه، ص 57.
- ¹² - نفسه، ص 61
- ¹³ - نفسه، ص ن
- ¹⁴ - عزيز مشواط: في سوسيولوجيا الهوية، تشظي الذات العربية الجريحة، رؤى تربوية، العدد 27، ص، 6.
- ¹⁵ - طوني بنيت: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعد الغانمي، ط1 المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ص، 700.
- ¹⁶ - سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي دار الكتاب العلمية، 1971، بيروت لبنان، ص، 315.
- ¹⁷ - أحمد حسين حسنين: لغة التعليم وأثرها في الهوية العربية نقلا عن كتاب الهوية في الوطن العربي اشكاليات التعليم والترجمة: مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث والدراسات، ط 1، بيروت، 2013، ص، 312.
- ¹⁸ - أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية دراسة أدبية، دار الساحل للكتاب، 2013، ص16.
- ¹⁹ - العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003، ص 95.
- ²⁰ - عزيز مشواط: رؤى تربوية، ص 8.
- ²¹ - Dominique combe: les littérature francophones, universitaires de France, 2010, p 154.
- ²² - محمد مور الدين أفاية: الهوية والاختلاف، في المرأة، الكتابة، والهامش، الدار البيضاء المغرب، 1988، ص 27.
- ²³ - أحمد حسين حسنين: لغة التعليم وتأثيرها في الهوية العربية، ص 361
- ²⁴ - الربيعي بن سلامة: اللغة العربية بين الاستجابة لمتطلبات التنمية وهاجس المحافظة على الهوية، نقلا عن كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي مجموعة مؤلفين، ص 120.
- ²⁵ - أحمد حسين حسنين: المرجع السابق، ص 362.
- ²⁶ - Charles bonne: littérature maghrébine d'expression française, sous la direction, Charles Bonn, Nagetkhadda et Abdallah mdarhri, p 89.
- ²⁷ - Askia Djebar : L'amour la Fantasia, édition Albin Michel, 1995, p181.
- ²⁸ - ibid., p 183.
- ²⁹ - ibid., p 183.

³⁰ -Assia Djebar : Nille part dans la maison de mon père, libraire Arthème
2007, édition sedita 2018, p326.

³¹ -ibid : p, 329.

³² -ibid ; p, 331.

³³ -ibid : p : p, 331.

³⁴ -ibid : p, 334.

³⁵ -ibid : p, 354.

³⁶ -ibid : p, 354.

³⁷ -ibid : p, 355.

³⁸ -ibid : p, 357.

³⁹ -ibid : p, 357.

⁴⁰ -ibid : p, 354.

⁴¹ -ibid : p, 358.

⁴² -ibid : p, 401.

⁴³ -ibid. : p, 424.